خامساً: حقوق الناس

obeikandl.com

obeikandl.com

الحديث الحادي والعشرون: رد الحقوق إلى أهلها

حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حُجْر قالوا: حدثنا إسماعيل - يعنون ابن جعفر - عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لَتُؤَدَّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**».

- تخريج الحديث:

- صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦، كتاب البر، باب تحريم الظلم ص١٣٦.

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، م٧، أبواب صفة القيامة ص١٠٤.

المعاني اللغوية والبلاغية:

قوله: لتُؤَدَّنَّ الحقوقُ: بفتح الدال المشددة هو على بناء المجهول، والحقوق مرفوع. ويزعم البعض ضمَّ الدال، ونصب الحقوق. واللام هي الواقعة في جواب القسم، ونون التوكيد الثقيلة مبالغة في التوكيد.

الشاة الجلحاء: هي التي لا قرن لها.

الشاة القرناء: التي لها قرن.

الطباق في «للشاة الجلحاء من الشاة القرناء».

- المعنى العام:

كان المجتمع العربي في عصر البعثة يتخبط خبط العشواء، وكان الإنسان في ذلك العصر قد نسي خالقه فنسي نفسه ومصيره، وكان الناس في شغل شاغل وفكر ذاهل لا يرفعون إلى الدين والآخرة رأساً، ولا يفكرون في الروح والقلب وإصلاح الحال، وعم النهب والسلب والظلم والاعتداء؛ يقول الشاعر:

ومن لم يذد عن حوضه سلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وصدق الله العظيم ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**﴾[1].

وقد اقتضت حكمة الله أن تطلع شمس الهداية من بطحاء مكة، وتملأ الدنيا نوراً وهداية، فكان أن نشأ ﷺ وسط هذه البيئة نشأة ربانية يلمس سلوكه وخلقه ونبله وشرفه كل إنسان، ويتأثر به وينظر إليه نظرة الاحترام والتقدير. وكان الناس يضعون عنده الأمانات، ويستشيرونه في الملمات؛ ومنها مشاركته في حلف الفضول وكان أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب، وكان سببه أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل أحد أشراف قريش، فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي أشراف قريش، فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل لمكانته، وانتهروه، واستغاث الزبيدي أهل مكة واستعان بكل ذي مروءة. وهاجت الغيرة في رجال من ذوي المروءة والفتوة، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاماً، وتعاقدوا، وتعاهدوا بالله، ليكونن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم، حتى يؤدي إليه حقه، فسمت قريش ذلك الحلف «حلف الفضول» وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر، ثم مشوا إلى العاص بن وائل، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه. وكان رسول الله ﷺ مغتبطاً بهذا الحلف متمسكاً به حتى بعد البعثة يقول: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً، لو دعيت به في الإسلام لأجبت، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها، وأن لا يعز ظالم مظلوماً»[2].

وكان ﷺ يجد في نفسه قلقاً غامضاً وضيقاً نفسيًّا تجاه هذه المخالفات

---

(١) سورة الروم: ٤١.

(٢) السيرة النبوية، للندوي، ص ٧٩، ٨٠.

الإنسانية إلى أن منّ الله عليه بنعمة القرآن والإسلام ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾(١).

هذا نور الإسلام ينير طريق العدل والإنصاف، ويحب الحياة السعيدة ويقدسها، ويحبب الناس فيها، وهو لذلك يحررهم من الخوف، ويرسم الطريق المثلى لتعيش الإنسانية متجهة إلى غاياتها من الرقي والتقدم، وهي مظللة بظلال الأمن الوارفة. وهو ﷺ يهدي إلى صراط مستقيم، ويوجب العدل ويحرم الظلم، ويجعل من تعاليمه السامية وقيمه الرفيعة المودة والرحمة والعدل وإحقاق الحق والإيثار والتضحية وإنكار الذات ما يلطف الحياة، ويعطف القلوب، ويؤاخي بين الإنسان والإنسان.

وجاءت الآيات تؤيد وتشرح هذه المفاهيم التي تربى عليها الرسول ﷺ ﴿**وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى**﴾(٢)، ﴿**قل أمر ربي بالقسط**﴾(٣). ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾(٤).

والإسلام لا يقف عند حد الإشارة بمبدأ العدل وإحقاق الحق ورد المظالم، وإنما يجعل العلاقة بين الأفراد والجماعات وبين الدول علاقة سلام وأمان يستوي في ذلك علاقة المسلمين بعضهم ببعض، وعلاقة المسلمين بغيرهم.

جاء الإسلام ليجمع القلب إلى القلب، ويضم الصف إلى الصف؛ مستهدفاً إقامة كيان موحد، ومتقياً عوامل الفرقة والضعف وأسباب الفشل

---

(١) سورة الزخرف: ٥٢.
(٢) سورة الأنعام: ١٥٢.
(٣) سورة الأعراف: ٢٨.
(٤) سورة النحل: ٩٠.

والهزيمة. ولذلك أولى عناية كبيرة لأداء الحقوق إلى أهلها، وإقامة مجتمع كريم يتقي الظلم ويحب العدل، عن جابر - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»(١).

والإسلام لهذا كله يكون روابط وصلات بين أفراد المجتمع. وهذه الروابط تتميز بأنها روابط قلبية وروحية قابلة للنماء والبقاء، وليست كغيرها من الروابط المادية التي تنتهي بانتهاء دواعيها، وتنقضي بانقضاء الحاجة إليها، وظل ﷺ يعمق هذه الروابط ويوطدها في فترات متقاربة؛ عن عقيل عن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربته فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»(٢).

وكان ﷺ نموذجاً حيًّا لتطبيق هذه المفاهيم السامية، وكان يسعى لرد العدوان والظلم، وعرف بذلك بين الناس، قال ابن إسحاق: قدم رجل من إراش بإبل له مكة، فابتاعها منه أبو جهل فمطله بأثمانها، فأقبل الأراشي حتى وقف على نادٍ من قريش ورسول الله ﷺ في ناحية المسجد جالس فقال: يا معشر قريش، من رجل يؤديني على أبي الحكم بن هشام؛ فإني رجل غريب ابن سبيل وقد غلبني على حقي؟ فقال له أهل ذاك المجلس: أترى ذلك الرجل الجالس - رسول الله ﷺ وهم يهزءون به لما يعلمون بما بينه وبين أبي جهل من عداوة - اذهب إليه فإنه يؤديك عليه. وجاء الأراشي إلى الرسول ﷺ، وقام معه النبي على الفور حتى جاء إلى بيت أبي جهل، فضرب عليه بابه، فقال: من

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦، باب تحريم الظلم ص ١٣٤.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦، باب تحريم الظلم.

هذا؟ قال: محمد فاخرج إليّ، فخرج إليه، وما في وجهه من رائحة، قد انتقع لونه. فقال: أعط هذا الرجل حقه، قال: نعم لا تبرح حتى أعطيه الذي له، قال: فدخل فخرج إليه بحقه دفعه إليه. ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للأراشي: الحق بشأنك. فأقبل الأراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال: جزاه الله خيراً، فقد والله أخذ لي حقي(١).

والرواية تصور كثيراً من العادات والرواسب الجاهلية التيْ كانت فاشية في المجتمع المكي من أكل أموال الناس بالباطل، والمماطلة في أداء الحقوق.

إن بريق الإيمان ـ في هذه القصة ـ يظهر أثناء الكلمات التي عبر بها رسول الله ﷺ «أعط هذا الرجل حقه» !! فإن هذه الحمية للحق عند أي ظالم مهما عزّ، ومع أي مظلوم مهما هان هي روح الإسلام الآمر بالمعروف، الناهي عن المنكر، والواقف عند حدود الله، ووظيفة الإسلام أن يحارب البغي والاعتداء على الحقوق في سياسات الأمم وفي صلات الأفراد على السواء. وأمثال العاص بن وائل وأبي جهل في ميدان السياسةوالاقتصاد كثيرون، ومحمد ﷺ وورثته من العلماء والقضاة أولى الناس بخصومتهم «لتُؤدَّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة» والكلمات النبوية الندية - المؤكدة بلام الأمر ونون التوكيد الثقيلة - تقوي في الجماعة المسلمة روح العدل والقسط والسماحة ويُكَفكفْ فيها شعور العدوان والميل والانتقام، وتأتي الآيات فتذكر المسلمين بأهمية أداء الحقوق إلى أهلها، وتجلي مفهوم الحديث بتغيرات موحية ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين**﴾(٢).

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، م١، القسم الأول ص٣٨٩، ٣٩٠ (بتصرف واختصار).
(٢) سورة الأنبياء: ٤٧.

والحبة من خردل تصور أصغر ما تراه العيون، وأخف في الميزان، وهي لا تترك يوم الحساب ولا تضيع والميزان الدقيق يشيل بها أو يميل!

فلتنظر نفس ما قدمت لغد وما قصرت من أداء الحق وليبادر المماطلون في أداء الحقوق فإنهم إن نجوا من عذاب الدنيا فهناك عذاب الآخرة الذي تعد موازينه فلا تظلم نفس شيئا، ولا يهمل مثقال حبة من خردل، بل«لتؤدّنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة».

قال تعالى: ﴿**إن الله يأمركم أن تُؤدّوا الأمانات إلى أهلها**﴾(١). ومن هذه الأمانات - الداخلة في ثنايا الحديث - أمانة أداء الحقوق إلى أهلها، وأمانة التعامل مع الناس، وردّ أماناتهم إليهم، وأمانة المعاملات والودائع المادية، وأمانة النصيحة للراعي وللرعية، وأمانة القيام بالواجبات، وأمانة المحافظة على حرمة الجماعة وأموالها وثغراتها، وسائر ما يشير إليه الحديث من الواجبات والتكاليف، ثم يجيء التعقيب على الأمر بأداء الأمانات إلى أهلها «حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» هو التأكيد على أداء الحقوق والتذكير بأنه من أمر الله سبحانه وتوجيهه. قال الإمام النووي: هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء كما يعاد أهل التكليف من الآدميين، وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة، وعلى هذا تظاهرت دلائل الكتاب والسنة(٢). قال الله تعالى: ﴿**وإذا الوحوش حشرت**﴾ عن عكرمة عن ابن عباس قال: حشر البهائم موتها. قال ابن جرير: والأولى قول من قال: حشرت جمعت؛ قال الله تعالى ﴿**والطير محشورة**﴾ أي مجموعة(٣).

---

(١) سورة النساء: ٥٨.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٦، كتاب البر، باب تحريم الظلم ص١٣٦.

(٣) تفسير ابن كثير، م٤، سورة التكوير ص٧٤٨.

وكلمات الحديث تشير بجملتها إلى يوم الحساب، وتهز القلوب هزًّا وتشدّ النفوس شدًّا بخلعها من كل ما اعتادت من جدر واعتداء؛ فإذا هي في الحشر في عاصفة الهول المدمر ﴿**وإذا الوحوش حشرت**﴾ حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، بينما هي حشرت وانزوت تتجمع من الهول وهي الشاردة في الشعاب وتمضي هائمة على وجوهها، فالهول والرعب لا يدعان لهذه الشاه بقية من طباعها وخصائصها، ولكنها لا تفلت من الحساب والعقاب! فكيف بالناس من ذلك الهول العصيب واليوم الشديد؟

- فقه الحديث :

قال العلماء: وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب، وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف؛ إذ لا تكليف عليها، بل هو قصاص المقابلة[1].

- ما يستفاد من الحديث:

- من معاني أداء الحقوق إلى أهلها أن يحرص المرء على أداء واجبه كاملاً في العمل الذي يناط به، وأن يستنفذ جهده في بلاغه تمام الإحسان، أجل إنها أمانة يمجدها الحديث المذكور، أن يخلص الرجل لشغله وأن يعنى بإجادته وأن يسهر على حقوق الناس التي وضعت بين يديه.

- ليس أعظم خيانة ولا أسوأ عاقبة من رجل تولى أمور الناس فنام عنها حتى أضاعها.

- ومن أداء الحقوق إلى أهلها ألا يستغل الرجل منصبه الذي عين فيه لجرّ منفعة إلى شخصه أو قرابته؛ فإن التشبع من المال العام جريمة.

---

(١) صحيح مسلم ج١٦، كتاب البر، باب تحريم الظلم ص١٣٦.

– ومن أداء الحقوق إلى أهلها أن تنظر إلى حواسك التي أنعم الله بها عليك وإلى المواهب التي خصّك الله بها، هل استثمرتها في سبيل الله؟ وهل راعيت فيها حق الله ؟

– ومن أداء الحقوق إلى أهلها وضع كل شيء في المكان الجدير به واللائق له فلا يسند منصب إلا لصاحبه الحقيق به، ولا تملأ وظيفة إلا بالرجل الذي ترفعه كفايته إليها.

فعن أبي ذر قال: «قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدّى الذي عليه فيها»[1].

(١) سير أعلام النبلاء م٢.

obeikandl.com

الحديث الثاني والعشرون: من المفلس ؟

حدثنا قتيبة بن سعيد وعلي بن حُجْر قالا: حدثنا إسماعيل - وهو ابن جعفر - عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**».

- تخريج الحديث:

- صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦، باب تحريم الظلم ص١٣٥، ١٣٦.

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي م٧، أبواب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، ص١٠١، ١٠٢.

- المسند للإمام أحمد بن حنبل، ج٢ ص٣٠٣.

أتدرون من المفلس؟ المعاني البلاغية واللغوية

- المعنى العام:

الحديث حلقة من حلقات إعداد الفرد المؤمن وتربيته وتهذيبه وتشجيبه من شوائب البيئة من الغيبة والنميمة ونيل الأعراض وهتكها، وإيذاء الأخ المسلم فكانت البداية بصيغة طرح الأسئلة، وبطرح السؤال المهم على الصحابة المتحلقين حول الرسول ﷺ فيفاجئهم بهذا السؤال: أتدرون من المفلس؟ صيغة استفهامية إنكارية لإثارة الانتباه ولاستجاشة المشاعر. وفعلاً انتبه الناس وتطلعت النفوس وتشوقت لمعرفة الجواب الجديد. ولكن الجواب العادي

الطبيعي المعروف هو «المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع». وبعد هذه الإجابة يفاجئهم الرسول ﷺ المربي المرشد قائلاً: بل المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ثم يحاسب ويقف الناس في محشر وتوزن أعماله، فتختل القيم والموازين، ويتحدث الناس عن مكنونات صدورهم فيجابهونه قائلين: كان هذا قد شتمني، ويأتي آخر فيقول: هذا رماني بالزنا، ويأتي ثالث فيشكو قائلاً: هذا أخذ مني مالي، ويفاجئهم الرابع قائلاً: هذا سفك دمي. حينئذٍ يقعد هذا المسلم وسط هؤلاء وفي وقت المحشر فتؤخذ من حسناته وتوزع على أهل الحقوق، وترد الحقوق إلى أهلها، وإلى هذا يشير الرسول ﷺ «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»(١). ومربى الأمة مشغول البال كيف ينقذ أمته من هذا الإفلاس فيقول - عن زيد بن أبي أنيسة عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: رحم الله عبداً كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فجاءه فاستحله قبل أن يؤخذ وليس ثمّ دينار ولا درهم فإن كانت له حسنات أخذ من حسناته وإن لم تكن له حسنات حملوا عليه من سيئاتهم»(٢)، ويحذر من هذا الموقف؛ عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نوقش الحساب هلك. قلت: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿**فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا**﴾. قال: ذلك العرض. ومن الوسائل التربوية النبوية -

---

(١) جلسة نبوية كريمة وخطوة تربوية رائدة، الناس منصتون والنفوس مهيأة لتلقي التوجيهات ولتوقي الحساب والعقاب يوم الحساب، والرسول يرشد إلى هذه الوسائل الواقية وينبههم إلى المطبات التي يقع فيها كثير من الناس ومنها الظلم. عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته». ثم قرأ: ﴿**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد**﴾. صحيح مسلم بشرح البخاري ج١٦، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم ص١٣٦.

(٢) تحفة الأحوذي، م٧ باب صفة القيامة، ص١٠٣.

عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿**يومئذ تحدث أخبارها**﴾ قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها؛ أن تقول: عمل كذا، وكذا، وكذا في يوم كذا، قال: فهذا أخبارها[1].

وتستمر أساليب الإثارة، فعن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ: شعار المؤمن على الصراط: «رب سلم سلم»[2]. وكأني بالمسجد النبوي وفي الحلقات التربوية المستمرة، وكأني بذلك الجو الروحي أرى الشخوص وهي تتلهف لمعرفة طرق النجاة من الإفلاس يوم القيامة، وتتصور ذلك الهول فتزداد انفعالاً فتندفع وتسأل. عن ابن أنس بن مالك عن أبيه قال: «سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال: أنا فاعل. قلت: يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط. قلت: فإن لم ألقك على الصراط. قال: فاطلبني عند الميزان. قلت: فإن لم ألقك عند الميزان. قال: فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن».

هكذا بدأت العقول تتهيأ ليوم الحساب ذهنيًّا، وبدأت القلوب ترتعد ليوم اللقاء ويوم العقاب والحساب: وبدأت تتبين طرق النجاة من الإفلاس ومن الحساب ومن أداء الحقوق إلى أهلها، ويستثني الرسول ﷺ هذه اللمحات المثيرة فيذكرهم بيوم الحشر بصورة أوضح فيقول: «إنكم تحشرون رجالاً وركباناً وتجرون على وجوهكم» وهذا منظر تصويري مليء بالفزع والرعب، يدفع النفوس إلى أن تأخذ أهبتها لتحاشي ذلك اليوم، ولتتذكر من هو المفلس؟ وكيف النجاة من هذا الإفلاس؟ وهذه المناظر المثيرة تترى وتتوارد على الخواطر

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر السابق.

والقلوب. عن الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله[1].

وبعد هذه الإثارة والاستجاشة يبين مربي الأمة طرق الوقاية. حدثنا إسماعيل عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أرأيت إن كان فيه ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»[2].

ويحيط الرسول ﷺ أمته بسياج من الاحتياط والوقاية، فيبين أن السب والشتم مما يقلل من أجره. عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم». وليعلم الفرد أن سباب المسلم بغير حق - كما قال ﷺ - فسوق[3]. ومن الطرق الواقية أيضاً في هذا المجال العفو عن أخيه. عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد إلا رفعه الله»[4].

ويجلي القرآن هذه الطرق الواقية في أكثر من موضع، منها على سبيل المثال قوله تعالى في أول سورة البقرة: ﴿**ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**﴾.

(١) تحفة الأحوذي ج٧، باب ما جاء في شأن الحشر ص١٠٧-١١١.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦، كتاب البر والصلة، باب تحريم الغيبة، ص ١٤٢.
(٣) راجع شرح النووي، ج١٦، كتاب البر والصلة.
(٤) المصدر نفسه، باب استحباب العفو والصلح، ص١٤١.

ويرسم القرآن ملامح الناجي من الإفلاس، والناجح في الحساب بتعبيرات موحية تتجلى في هذه الآيات في قيام الكلمة مقام الخط واللون، إذ سرعان ما ترتسم صور الناجين من هذا الإفلاس من خلال الكلمات، ثم سرعان ما تبيض هذه الصور وكأنها تموج بالحياة من جديد بعد الحساب.

إن السمة الأولى للناجح هي التقوى، والثانية الإيمان بالغيب، فهو العتبة التي يجتازها الإنسان فيتجاوز مرتبة الحيوان إلى مرتبة الإنسان المستقيم السليم، والسمة الثالثة هي إقامة الصلاة، والقلب الذي يسجد لله حقًّا ويتصل على مدار الليل والنهار، ويستشعر عظمة الله وهول الحساب فلا يسب هذا، ولا ينال من هذا، ويجد لحياته غاية أعلى من أن تنال من هذا وتسب هذا، ومفتاح النجاة من الإفلاس ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾، والإنفاق يشمل الزكاة والصدقات وسائر ما ينفق في وجوه البر، وهو أكبر عون لتطهير النفس من الشح وتزكيتها بالبر، وأنها تؤمن العاجز والضعيف والقاصر، وتشعرهم أنهم يعيشون بين قلوب ووجوه ونفوس في روح الإخوة والتسامح. كل يعذر أخاه ويستسمح منه ويتآلف معه ويصفي حسابه في الدنيا قبل الآخرة ﴿**وبالآخرة هم يوقنون**﴾ وهذه خاتمة السمات للنجاة من الإفلاس الخاتمة التي تربط الدنيا بالآخرة، والمبدأ بالمصير والعمل بالجزاء والتي يشعر الإنسان أن العدالة المطلقة في انتظاره ليطمئن قلبه ويفيد العمل الصالح، وإلى عدل الله ورحمته فيعيش غني النفس، مليء القلب بالإيمان، بعيداً عن الإفلاس، ويكون ممن قال الله فيهم: ﴿**وأولئك هم المفلحون**﴾.

- ما يستفاد من الحديث:

الحديث يشير إلى الطرق التربوية الفعالة ومن أبرزها:

١ - إثارة العـواطف والمشاعر بـالسؤال الاستفهامي الإنكـاري والذي وصل إليه علماء التربيـة وعلم النفس أنه من أنجح الـوسائل لغرس الأفكـار والمفاهيم ونقشها في القلوب والأذهان .

٢ - الحديث يشير إلى طرق استجاشـة العواطف والمشاعر، ومن أبـرزها ذكر يوم الحساب، وتصوير مشهد من مشـاهد ذلك اليوم، وذكر الحساب والعقاب بأسلـوب موح مثير حتى يتـذكر المؤمن منظـر يوم يفـر المرء من أخيه وأمـه وأبيه وصاحبته وبنيه .

٣ - الحديث لقطة جميلة من لقطـات التربية النبوية يصور منظـراً من مناظر المسجد النبـوي الذي كان مـدرسة وجامعة وسـاحة لإعداد الفـرد المؤمن إعداداً كاملاً ليكون لبنة صالحة في بناء مجتمع القرآن .

- فقه الحديث :

الإيمان بالغيب وبالحساب يوم القيامة واجب .

أتـدرون من المفلس؟ أسلـوب استفهـامـي إنكـاري من أسـاليب البـلاغـة لاستجاشـة المشاعـر. إن المفلس من أمتي من يأتي وقـد شتم هذا وقـذف هذا، وأكل مال هـذا. . . تفصيل بعد إجمال، من الأسـاليب التوضيحيـة التي تؤدي فيها كل جملـة معنى دقيقاً على حدة، ويصـور بصورة موحيـة وتفصيلية ليتجلى مشهد من مشـاهد يوم القيامـة. وكل هذا لأن الحديث جاء بصيغة استفهـامية فأثار الانتباه والشوق لمعرفة الجواب. والجمل التي بعدها جاءت توضيحية .

الحديث الثالث والعشرون: من هم خصوم الله جل وعلا ؟

حدثني بشر بن مرحوم حدثنا يحيى بن سُلَيْم عن إسماعيل بن أمية عن سعيد ابن أبي سعيد، عن أبي هـريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ قال: «**قال الله: ثلاثـة أنا خَصْمُهم يوم القيـامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل بـاع حرًّا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يُعطِهِ أجره**».

- تخريج الحديث:

- فتح الباري بشرح صحيح البخـاري: ج٤ كتاب البيوع ـ بـاب إثم من باع حرًّا ــ ح ٢٢٢٧، ص ٤٨٧، كتاب الإجارة ـ بـاب إثم من منع أجرالأجير -ح ٢٢٧٠ ص ٥٢٣.

-سنن ابن مـاجه: ج ٢، كتاب الـرهون - بـاب أجر الأجـراء ـ ح ٢٤٤٢، ص ٨١٦ ـ ط المكتبة الإسلامية ـ تركيا.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج٢، ص ٣٥٨، ح ٨٧١٣.

- المعاني اللغوية:

خصم خصما: غلبـه في الخصـومـة، وخـاصَم خِصـامًا ومُخاصمـة: نـازعـه وجادله، والاسم خُصومه. أخْصَمَهُ: لقنه حجة حتى خَصِمَ مُخاصِمَهُ.

الخَصْمُ جمعـه خُصوم وخِصـام: المخاصِمْ ــ والمنازع، وقـد يجيء للاثنين، والجمع، والمؤنث، فيقـال: هما وهم وهي خَصْمىٰ، والعامـة تجمع خَصْما على أخصام.

الخِصْم جمعه خَصِمون، والخَصوم: المجادل والمخاصم.

قوله: «أعطى بي، ثم غدر» المفعول محذوف، والتقدير أعطى يمينه بي ـ أي عاهد وحلف بالله، ثم لم يف.

- المعنى العام :

جاء الإسلام رحمة للعالمين، ورحمة ونعمة للضعفاء والمساكين، وجاء لتطهير النفوس من رواسب الحياة الجاهلية في المجتمع الإسلامي، واستجاشة ضمائر المسلمين بهذا النداء: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم**. . .﴾ الآية [1]، وأكل الأموال بالباطل يشمل كل طريقة لتداول الأموال بينهم بما لم يأذن به الله، أو نهى عنه، ومنها الفسق، والرشوة، واحتكار الضروريات، وجميع أنواع البيوع المحرمة، وأكل أموال الأيتام، والمساكين، والضعفاء، وكل من لا يستطيع أخذ حقه. وخصص ﷺ من بين هؤلاء ثلاثة أنواع: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًّا وأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يوفه أجره [2]» رواه أحمد والبخاري.

قال ابن التين: هو سبحانه وتعالى خصم لجميع الظالمين، إلا أنه أراد التشديد على هؤلاء بالتصريح، والخصم يطلق على الواحد والاثنين، وعلى أكثر من ذلك. وقال الهراوي: الواحد بكسر أوله (الخِصم). وقال الفراء: الأول قول الفصحاء، ويريد الخصمين، وفي الثلاثة خصوم. وقوله: «من كنت خصمه خصمته» هذه الزيادة ليست في صحيح البخاري، ولكن أخرجها أحمد وابن حبان، وابن خزيمة، والإسماعيلي، وقوله: «أُعطي بي ثم غدر» المفعول محذوف والتقدير: أعطى بي، أي عاهد وحلف بالله، ثم لم يف[3]. والوفاء

---

(١) النساء: (٢٩).

(٢) نيل الأوطار، ج٦، باب الأجير، على عمل متى يستحق أجره؟ وحكم سارق عمله، ص ٣٦

(٣) المصدر نفسه.

بالعهـد من الركائز التي راعاها الإسلام. ومن يشتري بعهد الله وأيمانه ثمنًا قليلاً من عرض هذه الدنيـا، أو بالدنيا كلها، ولا نصيب له في الآخـرة، ولا رعاية له عند الله، ولا زكاة، ولا قبـول، ولا طهارة. إن الوفاء بالله مـرتبط بالتقوى، ومن ثم لا يتغير في التعامـل مع عدو، أو صديـق، أو ذمي. فالمسألـة إذن لا ترتبط بمصلحة ما، وإنما هي مسألة تعامل مع الله دون النظر إلى من يتعامل معه.

وهذه هي نظرية الإسلام الأخلاقية بصفة عـامة في الوفاء بالعهد، وفي سواها من السلـوكيات البشريـة. فالتعـامل هـو أولاً تعامل مع الله، فيتجنب بـذلك سخطه ويحظى برضاه، فالباعث الأخلاقي ليس هو المصلحة، وليس هو عرف الجماعة، وإنما هـي صلة ربـانية، فيكون خصمـه هو الله، وهـذا معنى قـوله: «ثـلاثة أنـا خصمهم»، وأولـه أعطى بي، ثم غـدر، ومن ثم ينبغي للمسلم أن يستمـد القيم والمقـاييس من الله بمعـرفـة ما يـرضيـه من الأخـلاق والتطلع إلى رضاه، ومن ثم فإن الذين يخالفون العهد ويغدرون بالأمانة، ويشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلاً، فهؤلاء لا خـلاق لهم ولا نصيب لهم في الآخرة، وعلاوة على هـذا وذلك فإنهم يتصفـون بصفـات اليهود، ولا يليق بـالمؤمن أن يشبـه نفسـه ويختلط عمله باليهود الذين عرفوا بالغدر والخيانة.

﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾(١).

يقول ابن كثير: «إن الـذين يعتاضـون عما عاهـدوا الله عليه من اتبـاع محمد ﷺ، وذكـر صفته للنـاس وبيان أمـره عن أيمانهم الفـاجرة، الكـاذبة، الآثمـة بالأثمان القليلة الزهيـدة، وهي غرور هذه الحياة الدنيا، الفانيـة الزائلة لا خلاق لهم في الآخرة».

---

(١) آل عمران: ٧٧.

وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية الكريمة. عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. قلت: يا رسول الله من هم؟ خسروا وخابوا. قال: وأعاده رسول الله ثلاثة مرات: المسبل والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والمنان». رواه مسلم من حديث شعبة به. حديث آخر: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقطع مال امرئ مسلم لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان». فقال الأعث: فيَّ والله كان ذلك، وكان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني أرضي فقدمته إلى رسول الله ﷺ، فقال لي رسول الله ﷺ: «ألك يمينه؟»، قلت: لا. فقال اليهودي: أحلف. فقلت: يا رسول الله إذا يحلف فيذهب مالي. فأنزل الله عز وجل: ﴿**إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلاً**. . .﴾ الآية، أخرجاه من حديث الأعمش (١).

حديث آخر: قال ابن أبي حاتم: حدثنا حسن بن عرفة أنبأنا العوام - يعني ابن حوشب- عن إبراهيم بن عبد الرحمن - يعني السكسكي - عن عبد الله بن أوفى أن رجلاً أقام سلعة له في السوق، فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يعطه ليوقع فيها رجلاً من المسلمين، فنزلت هذه الآية: ﴿**إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلاً** . . .﴾ الآية. ورواه البخاري من غير وجه عن العوام(٢). ومن خلال هذه الأحاديث تتجلى لنا مفاهيم الكلمات النبوية الكريمة «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطى بي ثم غدر». وكيف أن هذا الإسلام

---

(١) ابن كثير، سورة آل عمران، ج١ ص ٥٦١، ص ٥٦٢.

(٢) المصدر السابق.

يحيط بسياج قوي حقوق الناس بين القول والعمل وبين الحدود والتعازير، حتى يعيش المجتمع الإسلامي في جو آمن كريم.

والشخص الثاني: «باع حرا وأكل ثمنه»، وقد خص الأكل؛ لأنه أعظم المقصود، وفي رواية لأبي داود: «ورجلٌ اعتبَد محررا»، وهو أعم من الأول في الفعل وأخص في المفعول. قال الخطابي: اعتباد الحر يقع بأمرين أن يعتقه، ثم يكتم ذلك أو يجحده، والثاني أن يستخدمه كرهًا بعد العتق، والأول أشدهما، قال: في الفتح والأول أشد؛ لأن فيه من كتم الفعل أو جحده العمل بمقتضى ذلك من البيع وأكل الثمن، فمن ثم كان الوعيد عليه أشد. قال المهلب: وإنما كان إثما شديدًا؛ لأن المسلمين أكفاء بالحرية، فمن باع حرًّا فقد مَنَعَه التصرف فيما أباح الله له وألزمه الذي أنقذه الذي الله منه. وقال ابن الجوزي: الحر عبد الله، فمن جنى عليه فخصمه سيده. وهذا لون من ألوان السياج القوي لحفظ حقوق الناس وكرامتهم، وبث روح الإخاء والمساواة بين المسلمين، وبين الحر والعبد، وبين الحر والحر لخلق جو إسلامي كريم يحافظ على تماسك بناء المجتمع ويرقى به.

والصنف الثالث: «رجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره». الأجير المؤمن يعمل بكل معاني الإخلاص والجدية، ويعد عمله هذا عبادة وأمانة، وينتظر أجره من الناس، وثوابه من الله، فيستحق التكريم والتقدير، وهو أهل ليعامل معاملة حسنة، ويستأهل تطييب الخاطر، ورفع الروح المعنوية. وهذا ما يشير إليه الإسلام: «أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه». وهذه إحدى الوسائل لدفع صفوف الإنتاج والعمل، حتى يسير موكب الحضارة الإسلامية نحو الرقي والتقدم، فيكون نموذجًا يحتذى في الإخلاص والعمل. وهذه إحدى ثمرات وبركات الحديث «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة». والثالث:

«رجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره». قوله: «ولو يوف أجره»، هو في معنى من باع حرًّا وأكل ثمنه لأنه استوفى منفعته بغير عوض فكأنه أكلها؛ ولأنه يستخدمه بغير أجره، فكأنه استعبده (١).

- فقه الحديث:

عن علي رضي الله عنه أنه قال: من أقر على نفسه بأنه عبد فهو عبدٌ. وروي عن ابن أبي شيبة من طريق قتادة: أن رجلاً باع نفسه، فقال عمر: بأنه عبدٌ، وجعل ثمنه في سبيل الله.

ومن طريق زرارة بن أبي أوفى أحد التابعين «أنه باع حرًّا في دين»، ونقل ابن حزم أن الحر كان يباع في الدين حتى نزلت: ﴿**وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة**﴾، ونقل عن الشافعي مثل ذلك، ولا يثبت أكثر أصحابه. وقد استقر الإجماع على المنع.

قوله: «إنما يوفى أجره إذا قضى عمله»، فيه دليل على أن الأجرة تستحق بالعمل. وعند الشافعي وأصحابه أنها تستحق بالعقد، وهذا في الصحيحة، وأما الفاسدة، فقال في البحر: لا تجب بالعقد إجماعًا (٢).

- ما يستفاد بالحديث:

١ - الحديث يُشير إلى قاعدة من راعاها وفاءً بعهد الله وشعورًا بتقواه، أحبه الله وأكرمه، ومن اشترى بعهد الله وبأيمانه ثمنًا قليلاً فليعلم أن الله خصمه يوم القيامة.

٢ - الأجير المؤمن يندفع إلى العمل بحافز من نفسه، وباعث من ذاته، وإيحاء

---

(١) نيل الأوطار، للشوكاني، ج٦، باب الأجير على العمل متى يستحق الأجرة؟ ص ٣٧، ح٦.
(٢) نيل الأوطار، ج٦، باب الأجير على العمل متى يستحق الأجرة؟ ص ٣٧.

ينبعث من داخله؛ ولذلك كان التشجيع والتكريم ودفع الأجر قبل أن يجف عرقه.

٣ - الدين الإسلامي يغرس في النفوس روح الإخاء، ويهذب العلاقات، ويرفع البناء، ويبين الحقوق المتعلقة بالآخرين.

٤ - ينفر الحديث من الظلم، وأكل حق الغير بغير وجه حق.

obeikandl.com